النقد النسوي: اشكالية المصطلح، بين التأييد والمعارضة

الدكتــور: علـــي رحمانـــي
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر– بسكـــرة

ملخص:

لقد سعت النساء إلى تحقيق مكانتهن وتأسيس أدبهن ونقدهن وإعمالهن وهذا الأمر يتطلب ضبط المصطلحات لتمكين ذلك، فيجب التفريق بين الذكر والأنثى وبين المرأة والرجل وأيضا بين الفحولة والأنوثة والتداخل الجنسي أو الشذوذ. هذا وقد كان هذا النقد أيضا يتأرجح بين التأييد والمعارضة مما جعله كرة في ملعب النقد الأدبي عموما.

تمهيد:

تشير الأدبيات إلى أن مفهوم" جندر" أو" النوع الاجتماعي" الذي ظهر في ثمانينيات القرن الماضي كمصطلح بارز في أدبيات الحركة النسوية وذلك لوصف خصائص الرجال والنساء المحددة اجتماعيا في مقابل تلك الخصائص المحددة بيولوجيا.

كما أدت هذه الحركات النسوية التي قامت بها مجموعة نساء إلى إعادة ضبط المصطلحات والأدوار والوظائف، حيث خلخلت هذه الحركات هدوء العالم ليظهر بشكل جديد يحمل داخله التسوية أو المساواة بين الجنسين.

ومن بين نتائجه نتفرد بالنص المؤنث أو بعبارة أخرى الكتابات النسوية أو الأدب النسوي الذي يعرف بأبسط التعاريف انه" جهود المرأة في الكتابة" وراح هذا المجال في التطور إلى أن صل مصاف النقد والنقاد أو بالأحرى ناقدات أمثال يمنى العيد آمنة بلعلى وكورنيلا الخالد... وظهر ما يسمى بـــ" النقد النسوي". الذي تأرجح بين التأييد والمعارضة مما تطلب الأمر أن نعالج هذا الأمر في مقالنا هذا وعليه فالإشكالية التي تواجهنا هي:

1- ما المقصود بمصطلح النسوية؟ هل اختص الأمر بالجنس أم ماذا؟

2- هل صحيح أن هناك نقد نسوي؟ أم مجرد انتفاضة لمجموعة غاضبات؟

للإجابة على التساؤلات اتخذنا خطة في مقالنا هذا وهي كالتالي:

1/ الأدب النسوي وإشكالية المصطلح

أولا: تحديد المصطلح

1 الجنسانيات

2 الأبوية

3 النسوية

4 الأنوثة

5 الأنثى

6 المرأوية

ثانيا: الأدب النسوي بين التأييد والرفض

أولا: موقف المؤيد

ثانيا: موقف الرافض

أولا: ضبط المصطلح

1 -الجنسانيات :

لأن الجنسانية(sexuality) وفقا لغيل روبين G.ROBIN هي أوامر العلاقة بين الجنسين فإن كثيرا من إظطهاد المرأة يولد من الجنسانية ويتم من خلالها ومتشكل داخلها واستخدامنا للجمع" جنسانيات" يشير إلى أن المعاصرات وضعف نظريات الإحتمالات متعددة للهوية الجنسية والميل الجنسي والتعبير الجنسي التي تم تعريفها من خلال النظرية النسوية وكذلك من خلال نظرية المثليين جنسيا ونظرية الرجل المثلي جنسيا ووضعت النسويات نظرية الجنسانية كموقع للهيمنة على المرأة والمورد المحتمل للمقاومة والتعريف الذاتي والذاتية[1].

وقدم فرويد وأتباعه إلى النظرية الغربية مفهوم تن الجنسانية هي المحدد الأساسي للهوية مصرحين بتفوق العضو الذكري على النظر الأدنى ومعرفين الحياة الجنسية" العادية"

للمرأة على أنها مهبلية المنحى، وتقرر بالدخول مع هدف إنجاب طفل ذكر جميع أشكال التعبير الجنسي الأخرى المثلية بشكل خاص كانت تعتبر على أنها إنكفائية وغير ناضجة.

إن إرخاء قبضة النظرية الفرويدية في تعريف جنسانية المرأة كان مشروعا هاما لنسويات في ستينات وسبعينات القرن 20 وبالرغم من إشتراكهن بنقد مشترك للحتمية البيولوجية للنظرية الفرويدية فقد إقترحن العديد من وجهات النظر والنظريات البديلة الجنسانية للمرأة ونسويات من الموجة الثانية أمثال فريدان وميليت رفضن فرويد وحاججن أن الظروف الإجتماعية لحياة نساء من الطبقة متوسطة داخل المجتمع الأبوي وليس أعضاءهن تناسلية هي أصل عدم مساواتهن وإظطهادهن وإقترحت بعض النسويات التحرر الجنسي وهو رفض المعايير الجنسية المزدوجة وحرية جنسية للنساء مساوية لتلك التي يتمتع بها الرجال وإقترحت أخريات التخنث وهو كسر للثناية الصارمة للرجل والمرأة وقبول مزج صفات الذكر والأنثى في كل فرد.

ويقترح المقال مفهوم إستمرارية المثلية خلال حياة كل امرأة وعلى مدى التاريخ لتجربة معرفة من قبل المرأة وليس ببساطة حقيقة أن المرأة مارست تجربة جنسية تناسلية مع امرأة أخرى، أو أنها كانت ترغب باستمرار تلك التجربة.

2- **البطريركية**/ الأبوية patiarchy

شاع المصطلح في الدراسات النسوية بشكل كبير ويشير إلى السيطرة الذكورية في المجتمع وتعود مفردة البطريركية إلى مفردتين يونانيتين تعنيان بم" حكم الأب" ويعود إنتشار المصطلح إلى حقلين مختلفين هما: الأنثربولوجيا والدراسات النسوية ومن خلالها ولعب المصطلح في ذلك دورا مركزيا في سعي أهل ذلك الحقل تتبع السيطرة الذكورية في المجتمعات الإنسانية بوصف تلك السيطرة مصدرا للكتب المفروض على الأنثى[2]

بالإضافة إلى أن الأبوة تجعل" المرأة في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل أو تعامل المرأة على أنها ذكر ناقص[3]

الأبوية تصف ماهو أنثوي بأنه متدن في مقابل كل ماهو ذكري ومن ثم فإن دور الأم الذي تصطبغ به المرأة– ثقافيا– يجعلها مخلوقا متدنيا– وقد اتخذ هذا الإتجاه منطلقا له من مقولة سيمون دي بوفوار» simon de pouvoir" أن المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة".

3- النسوية:

ليس من السهل تقديم تعريف دقيق والشامل المصطلح النسوية للتخصيص، قد إستعمل هذا المصطلح الأول مرة في مؤتمر باريس العالمي الأول الذي إنعقد بباريس سنة 1892 حيث جرى الإتفاق على إعتبار أن النسوية هي" إيمان بالمرأة وتأييد لحقوقها وسيادة نفوذها".

كما قدمت كورنيليا الخالد تعريفا أوليا لها من خلال معجم أكسفورد على أنها " آراء ومبادئ مؤيدي إنجازات المرأة ومطالبها وحقوقها" وتعريف آخر من معجم ويبستر wibster وهو أكثر وضوحا حيث عرف النسوية بأنها" النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيا واقتصاديا وإجتماعيا"[4]

فمهما تعددت التعريفات والآراء وزوايا النظر لها فإن النسوية لا تقتصر على كونها مجرد خطاب يلتزم بالنضال ضد التمييز العنصري ويسعى إلى تحقيق المساوات بين الجنسين، وإنما هي أيضا فكر يعمد إلى دراسة تاريخ المرأة وإلى تأكيد حقها في الإختلاف وإبراز صوتها وخصوصيتها وبشكل خاص إلى المطالبة بإعادة التفكير جذريا في جميع بنيات المجتمع السائدة بناء على الشروط الإجتماعية والطبقية والثقافية.

وقد حطت الناقدة توريلموووي الرجال عند التعريف بهذا المصطلح عن طريق التفريق بين مفاهيم: النسوية، الأنثى، الأنوثة. ذلك أن الداعيات إلى النسوية إستعملن هذه المصطلحات خلال ثمانينات القرن العشرين بطرق جد مختلفة ومفهوم الإختلاف بين هذه المفردات يمكن أن يظهر وحده القضايا السياسية والنظرية الحاسمة للنقد الحديث.

إقترحت هذه الناقدة مسألة التمييز المبدئي على أنها قضية سياسية والأنثى على أنها مسألة بيولوجية طبيعية والأنوثة على أنها مجموع خواص محددة ثقافيا وبالتالي تدخل في إطار مفهوم حضاري.

4- الأنوثة:

إن مفهوم الأنوثة بشكل عام هو تركيب ثقافي لأن المرأة كما تقول سيمون دوبوفوار" لا تولد إمرأة، بل تصبح كذلك" حيث يعمد المجتمع الأبوي استنادا على وجهة النظر هذه إلى فرض مقاييس إجتماعية معينة عن الأنوثة، على جميع نساء ويعمل على ترسيخ الإعتقاد بأن هذه المقاييس المختارة الأنوثة طبيعية وجوهرية وكل مرأة غردت عليها

تعتبر غير طبيعية وعديمة الانوثة ويدعو المجتمع الأبوي إلى ضرورة الإعتقاد بما يدعى بجوهر المرأة وهو الأنوثة، بينما ترفض الناقدات النسويات هذا الخلط وتحاولن إلى إثبات أن النساء وإن كن إناثا بلا شك فإن هذا لا يضمن بالضرورة أنوثتهن كمفهوم ثقافي كما لا يضمن نسويتهن كمفهوم سياسي.

- وترفض الناقدة جوليا كريستيفا تعريف الأنوثة بشكل بسيط كونه" ذلك الذي يهمش بواسطة النظام الرمزي الأبوي".

من خلال هذا التعريف تؤكد كريستينا أن الرجل أيضا يمكنه أن يكون على هامش النظام الرمزي الأبوي عن طريق تحليلاتها الشخصيات الفنانين الرواد من الذكور كجويس وسيلين ومالارسيولوتريامون..... مستندة بأن إفتراض كون الأنوثة سمة النساء بالضرورة، والرجولة سمة الرجال بالضرورة، هو السياسة التي تمكن القوى الأبوية من وضع الأنوثة وبالتالي كل النساء على هامش النظام الرمزي في المجتمع.

وهذا الإنتقال من الجوهر إلى الهامش بجعل المرأة المحتلة لمركز هامشي في النظام الرمزي الذكوري بمثابة الحد الفاصل لهذا النظام فتجعل رؤيتها تتسم بالتأرجح بين الداخل والخارج.

5- الأنثى

إذا كانت ميزة النقد النسوي تتلخص في التزامه سياسة تناهض السلطة الذكورية المتعددة فإن مجرد كون الناقدة أنثى لا يضمن بالضرورة إستخدام المنهج النسوي كما ان كتابات الأنثى حول كاتبات لا تعني بالضرورة التزاما ضد المجتمع الذكوري بل قد تجد كاتبات يعملن على تدعيم المقولات الذكورية التي تدعو النسويات إلى نسقها فهناك فرق بين الكتابة الأنثوية والكتابة النسوية لأن أهداف النسوية تبقى بعيدة كل البعد عن خيالات الراوية الرومانسية مثلا[5] إلا أن جل الناقدات إفترضن أن وصف تجارب المرأة في مجتمع ذكوري إعتاد على إسكاتها يعتبر إستراتجية هامة ضد النظام الأبوي وعملا نسويا حقيقيا ونظرا لغياب عرف فكري أنثوي محض فقد عمدت النظريات النسوية الأولى إلى الإستفادة من الأيديولوجيات الأبوية كتأثر سيمون دوبوفوار في كتابها الرائد" الجنس الثاني" بمقولات سارتر القائمة على مركزية الذكورة وغيرها من النظريات الفكرية.

6- المرأوية womanist

وهي حسب رأي الكاتبة أليس ووكر.

من مرأوي womansih وهو(عكس" بنتوي" بمعنى طائشة وغير مسؤولة وغير رزينة) النسوية الملونة والنسوية السوداء من التعبير الشعبي للسود من الأمهات الأطفال البنات" إنك تتصرفين بطريقة مرأوية" بمعنى كامرأة وهذا يدل عادة على تصرف معيب أو متهور أو جريء..... الرغبة في معرفة المزيد وبعمق أكبر مما يعتبر جيد بالنسبة للمرء مهتمة بأفعال البالغين تتصرف كبالغة أن تكون بالغة تبادلي مع تعبير شعبي آخر للسود إنك تحاولين أن تكوني ناضجة" مسؤولة مكلفة متزنة.

2- كذلك يجب إمرأة تحب إمراة تقدر الثقافة النسوية ومرونة المرأة العاطفية(تذرف الدموع كتصرف موازن للضحك) وقوة المرأة أحيانا تحب رجالا منفردين ملتزمة ببقاء وكمال الناس بأسرهم من ذكور وإناث ليست إنعزالية ماعدا دوريا من أجل الصحة وهي عادة ليست أممية كما في" ماما لماذا نحن نسهر، وقرنفليو، وصفر البشرة وأبناء أعمامنا بيض وسواد البشرة؟ الجواب" حسنا إنك تعلمين ان الجنس الملون هو مثل حديقة ورود تمام، مع كل لون وردة تمثله" قادرة تقليديا كما في" ماما إنني سأذهب إلى كندا، وسآخذك مع مجموعة من العبيد الآخرين معي" الرد" إنها لن تكون أول مرة".

3- تحب الموسيقى، تحب الرقص، تحب القمر، تحب الروح، تحب الطعام، والاستدارة، تحب الكفاح، تحب الناس، تحب نفسها، لامبالية.

4- إن المرأوية بالنسبة للتسوية كاللون البنفسجي للخزامي[6].

موقف النقد العربي من مصطلح الأدب النسوي:

لقد شكل مصطلح الأدب النسوي جدلا واسعا بين النقاد والدارسين بين رافض لهذا النوع من الأدب والكتابة وبين مؤيد لها بحجة أن لهذا الأدب ما يميز عن أدب الرجل.

أولا: الموقف المؤيد

لقد تعددت الأصوات النقدية المؤيدة للأدب النسوي سواء كانت رجالية أم نسائية ويعد أغلب النقاد الذين يصرون على إنفصال الكتابة والأدب النسائي عن ادب وكتابة الرجل غير أن أغلب من نادو بهذه الخصوصية يرفضون عزل المرأة عن التجربة الإبداعية العامة

" ويجعلون الخصوصية حدودا تحميها من التحول إلى عامل سلبي يقصي المرأة من الإبداع"[7]

ويرى بعض النقاد أن خصوصية الكتابة النسوية، ترجع إلى الظروف الخاصة للمرأة وهذا ما تؤكده" زهور كرام" في قولها" المرأة حين تطرح أشياءها عبر لغة الإبداع فإن ذلك يتم بمنظور جديد، ما يمنح لكتابتها خصوصية نابعة من ظروفها الخاصة التي تنعكس على رؤيتها وتصورها للأشياء[8].

وتؤيدها الرأي الناقدة المغربية رشيدة بن مسعود" والتي تعتبر أبرز ناقدة أسست لنظرية الكتابة النسوية وذلك في كتابتها(المرأة والكتابة سؤال الخصوصية/ بلاغة الخطاب والتي ترى أن رفض مصطلح الأدب النسوي مرده إلى نقطتين:

أ- غياب التصور النقدي الذي لم يصل إلى مستوى دراسة هذه الظاهرة وتفكيكها داخليا ومن ثم عدم تحديد كلمة نسوي وتعريفها وما يبقيها خاضعة لدلالات مشحونة بالمفهوم الحريمي الإحتقاري الأمر الذي يدفع المبدعات للنفور من المصطلح وتغييب هويتهن لصالح سقوطهن في استلاب الفهم الذكور.

ب- خوف الكاتبات من إلصاق تهمة الدونية بهن ورغبتهن في انتحال موقع الرجل لذلك يتبرين ويرفضن المصطلح ورغم تأكيدهن على حضور خصوصية أو نكهة نسوية معينة.

- وترى بن مسعود سبب رفض المصطلح إلى عجز النقد عن تحديد مضبوط لكلمة نسوي وعد استطاعته الوصول إلى مستوى دراسة هذه الظاهرة.

وتعد الناقدة العراقية" نازاك الأعرجي" من بين المدافعات عن مصطلح(الكتابة النسوية) داعية المرأة العربية إلى التمسك بهذا المصطلح الذي يؤكد كينونتها الخاصة المضادة للدونية محذرة من اعتبار هذا المصطلح إحالة إلى الدونية كما تشيع عنه الثقافة العربية الخاضعة للوعي الذكوري الذي المرأة أن تبقى عضوا مهمشا في النادي الرجولي وتؤكد الأعرجي أن هدف الفئة إلى أربعة مستويات[9].

1- مستوى المحافظة على وضع المرأة الدوني المستقر اجتماعيا قانونيا وعرفيا..

2- مستوى الثقافة التي تدمج الأدب النسوي في مصطلح" الأدب الإنساني" الشامل بما يحمله هذا التصور من خدعة تهدف إلى غرض نزعة التفوق لدى الرجل المثقف ومحافظته على الوجود النسوي الخجول المتوجس في الحركة الثقافية الإنسانية.

3- مستوى نقدي أدبي يرفض المصطلح بمجمله محافظة على الركود النقدي السائد ورفضا للتواصل الثقافي المنجز بحيوية في الثقافة الغربية.

4- مستولى الأدبيات أنفسهن اللواتي ما إن تسأل الواحدة منهن عن الأدب حتى ترفضه ولسان حالها يقول" ليس هناك أدب نسوي.. أنا أكتب أدبا إنسانيا".

ويجدر بنا الإشارة إلى أن الكتابات هن الأكثر رفضا لمصطلح الأدب النسوي لتخوفهن من التصنيف الدوني لكتابتهن.

ثانيا: الموقف الرافض

وهو موقف يرفض وجود كتابة نسوية منفصلة عن كتابة الرجل ومن بين النقاد الرافضين المصطلح الكتابة النسوية/ الإبداع النسوي من منظور أنه يحط من قيمة المرأة ويؤدي إلى تهميش إبداعها. فالناقدة سلمى خضراء الجيوطي" فترى أن تقسيم الأدب إلى رجالي ونسائي تقسيما خاطئا ومعوجا لأنه لا يحافظ على استقامة الأمور من وجهة نظرها إذا القضية لا يجب أن تؤخذ من منظور جنس الكاتب بل تؤخذ من منظور الأدب الجيد والأدب الرديء في المضمون والموهبة المبدعة سواء إذا كان الكاتب أديبا أو أدبية[10].

والرأي نفسه نجده عند الناقد" سعيد يقطين" حين قال" النص المؤنث ليس حكرا على المرأة إذ بإمكان الرجل أن يكتب نصا مؤنث ويرى أن هذا التصنيف لا يعد الأدب بقدر ما يضره فكل تاريخنا الحديث يركز بالدرجة الأولى والأخيرة على محتوى الإبداع منتجة ومن هو أما الجوهري في الإبداع الفني والأدبي هو طابعه الجمالي الذي لم نعره اهتمامنا لذلك لم ينضج النقاش الجمالي في فكرنا الأدبي"[11]

وهناك من النقاد من يرفض المصطلح بسبب الإقرار بدونية الكتابة النسوية على نحو ما نجده عند الناقد حسام الخطيب والذي يتأرجح موقفه بين القبول المشروط والرفض ازمني التاريخي إذ يرى" مصطلح الأدب النسوي يتحدد من خلال التصنيف الجنسوي لا من خلال خصوصية المضمون وطريقة المعالجة مما يترتب على ذلك أن تكون الأهمية النقدية لمثل هذا المصطلح ضئيلة ويستثني من هذه الحالة كون المصطلح قد يعكس إيجابيا مشكلات المرأة التي تكسب الكتابة"[12]

ويشير الخطيب إلى خصوصية الكتابة عند المرأة هي خصوصية سلبية لأنها تغفل قضايا المجتمع وترتكز على قضايا الحب والجنس. وهذا يظهر من خلال الرواية النسوية

التي ترتكز على معالجة الوضع النوعي الخاص للمرأة منعزلا المجتمع والقبول بالمصير العام والاكتفاء بالاحتجاج السلبي وانطلاق جميع الكتابات من إشكالية ضرورة المساواة النظرية التامة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة.... وتبدو مسألة الحب والجنس هي المسألة المركزية في قضية المرأة الثائرة على الوضع العام للمجتمع التقليدي أو المتخلف.

الهوامش:

1- النظرية النسوية: ويندي كيه: ترجمة عماد إبراهيم دار الأهلية للطبع والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى. 2010. ص 104.

2- دليل الناقد الأدبي، ميدان الرويلي– سعد البازعي، ص 62- 63

3- مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوي، حفناوي بعلي.

4- الكفاح النسوي حتى الآن، كورنيليا الخالد، لمحة عن النظرية النسوية، الانجلو أمريكية والنسوية الفرنسية.

5- P النسوية، الأنثى، الأنوثة، مويي توريل، ص 38

6- أليس ووكر الولايات المتحدة 1944، روائية وشاعرة وكاتبة مقالات وناشطة نسوية.

7- السرد النسائي العربي: زهور كرام: شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2004، ص 72.

8- المرجع السابق، ص 86.

9- النسوية في الثقافة والإبداع، حسين المناصرة، ص 128.

10- المرجع السابق، ص 90.

11- الأدب النسوي بين المركزية والتهميش، خليل سليمة، مشقوق هنية مجلة مقاليد ص 113.

12- النسوية في الثقافة والإبداع، حسين المناصرة ص 89.